المنفيون او لوس مونفيس: لغة ومفاهيم في خطابات الغرب والشرق:

حكاية مجموعات المعارضة الموريسكية المسلحة التي قادت هبات شعبية لإعادة الهيمنة الإسلامية في الأندلس

الموريسكوس اعتبروا المنفيين أبطالاً للحرية مدافعين عن الحقوق، بل وصلوا الى مرحلة الصلاح والقداسة

ثامر بيراوي*

■ تلفت نظر القارىء لتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب الكمية الهائلة من المفاهيم والتعابير أو المصطلحات التي استخدمها الطرفان ولا يزالان والتي في الواقع شكلت في الماضي وتشكل في الوقت الحاضر جزءا من لغة (المواجهة) بين الطرفين.

واضح أن أي لغة تعبر عن مضامين، ويلفت النظر أن تلك اللغة وهذه المضامين حاضرة في الماضي والحاضر في لغة الطرفين ،وهي تتجدد بتبدل الزمن، وتتلون (بفانتازية) وصحة كل طرف البدنية والعقلية.

والعربية أيام صحتها أعطت دررا بعضها ما زال يلمع في لغات الأرض ومنها)أي القشتالية على قول العرب. CASTELLANA(الكاستيانا) ـ وفيها تسمية (لوس مونفيس) الإسبانية جمع لـ (منفي) ، وهو تعبير أو تسمية شاع استخدامها نهاية القرن الخامس عشر، وبالتحديد بعد سقوط غرناطة: (..آخر متراس إسلامي أندلسي) كما يسميه كثير من الدارسين الإسبان.

ففي الثاني من كانون الثاني (يناير) من ذاك العام الأسطوري (1492)، وبعد أن (استملك) (الملوك الكاثوليك) المدينة كنتيجة مباشرة لحملة عسكرية استمرت أكثر من ثمانية أشهر، سقط آخر ما كان قد بقي من تلك المملكة التي بسقوطها وضعت حدا لقرون من التاريخ والوجود السياسي الرسمي للمسلمين في الجزيرة الإيبيرية، وليظل ذاك العام ومعاني سقوط غرناطة محفورة في ذاكرة الأجيال .

غرناطة في القرن التالي لسقوطها

وبعد الاستسلام (بشروط متفق عليها) بين آخر حاكم مسلم لغرناطة، تعيس الحظ أبي عبد الله الصغير وفرناندو وإيزابيل، ملكي إسبانيا الكاثوليكيين اللذين سيصلان مرتبة القداسة الرسمية، كان من المفروض أن يبقى الشعب الموريسكي في مدنه وقراه مشمولا بنصوص وثائق الاستسلام لملوك قشتالة وأراغون. ولكن ما حدث بالفعل كان غير ذلك تماما، فقد خرقت السلطات الملكية وممثلوها نصوص اتفاق الاستسلام منذ اللحظة الأولى لتوقيعه، وكان أن بدأت صفحة حزينة أخرى في تاريخ مسلمي الأندلس الذين شاء لهم التاريخ أن يعاصروا غروب شمسهم وان يعيش أبناؤهم وأحفادهم وابناء هؤلاء ايضا ما لم يتوقعه قاص او دان .

الملكان الكاثوليكيان فرديناند وإزابيل

ولفهم عمق مأساتهم قد يكفي أن يعرف القارىء أن أغلبية المصادر الإسبانية قد أجمعت على أن أهل الأندلس بعد سقوط غرناطة بقوا أمناء على دينهم وعاداتهم القديمة رغم الجهود التي بذلتها السلطات لتحويلهم عن دينهم ولمحو شخصيتهم ولغتهم.

هذا لا ينفي تحول البعض منهم تحت الضغط المستمر، فقد كان شعبا تحت احتلال، عانى من عنصرية رسمية على كل الأصعدة، وكانت تجربتهم أول محاوله يواجهها المسلمون في الغرب للعيش تحت سلطة حكومة غير إسلامية باستثناء تجربة المدجنين، لذلك ليس غريبا أن يحاول فقهاؤهم إيجاد حلول لهذا الشعب، وقد برزت في تلك الفترة آراء وفتاوى من رجال دين مسلمين محليين أوحتى من الخارج ـ من وهران مثلا ـ لحل الإشكال التاريخي والعقدي الذي كان يعيشه من سيسمون (الموريسكوس)، مما أتاح لمن أراد اللجوء إلى التقية، لذلك اعتبر بعضهم الرضوخ للضغوط والتحول الشكلي عن العقيدة أهون الشرين، ولكن مشاعر العصبية والانتماء للقبيلة والعائلة والدم، عوضا عن الدين واللغة صمدت ولم تنل منها سياسات التغريب الرسمية المدعومة من قطاعات واسعة من الجمهور، خاصة منهم من استجلب من مناطق اخرى من المملكة الإسبانية لإعادة التوازن الديمغرافي والديني والعرقي على حساب الشعب الموريسكي.

وفي أجواء التحويل القسري الجماعي هذه والملاحقة للرافضين ومضايقتهم ومحاربتهم في أسباب عيشهم وحياتهم اليومية نشأت مجموعات من المعارضة الموريسكية المسلحة قادت هبات شعبية لإعادة الهيمنة الإسلامية في الأندلس في ظروف محلية ودولية بالغة التعقيد، وفي فترة زمنية كان يخطو فيها الغرب خطوات حثيثة للسيطرة على العالم.

وتذكر المصادر الإسبانية من بين المجموعات التي كانت المدن مسرحا لها وهي (ميليشيات) مكونة من شباب (LOS GANDULES) «لوس غاندوليس» يتصفون بالعنف.

حسب نفس المصادر، كما كان هناك (لوس كورساريوس) أي القراصنة خاصة منهم العائدين ـ بعدما كانوا قد لجأوا إلى موانىء افريقيا ـ لمهاجمة ونهب مدن الساحل الأندلسي.

كما كان هناك (المنفيون) وأغلبهم رجال، شرسون، سباع ولا يقبلون القهر أو التدجين، قدموا من الأرياف الأندلسية، خاصة من نواحي البوخارا الجبلية وقرى وبلدات جبال روندا، وانتظموا في مجموعات من 25 ـ 40 رجلا يقودها زعيم كثيرا ما كان يحوز على الشهرة مع مرور الزمن، تحصنوا في المناطق الوعرة وصعبة المنال لمهاجمة وسرقة وقتل ـ حسب الرواية الرسمية ـ كل من يصل إلى أيديهم من ممثلي سلطة الإقطاع. وبطبيعة انتمائهم الجغرافي والاجتماعي كانوا ينتمون إلى أفقر الفئات الموريسكية وأكثرها خشونة، مما جعلهم أكثر استعدادا للتحول إلى أشداء دام تمردهم أكثر من قرن من الزمان.

تعميد جماعي للموريسكوس

ومعنى كلمة (منفيون) يختلف باختلاف الجهة التي تستخدمه، فهم بالنسبة للسلطات القشتالية: لصوص وقطاع طرق وأشخاص خارجون على القانون، مصيرهم المحتوم هو المشنقة أو الحبس أو الأشغال الشاقة المؤبدة. وكانت السلطات الملكية الإسبانية وممثلوها يعتبرونهم كعملاء لقوة أجنبية هي الدولة العثمانية، وطابور خامس يهدد أمن المملكة الإسبانية واستقرارها، تلك المملكة اللتي كانت تعتبر نفسها حامي حمى الغرب المسيحي في مواجهته للدولة العظمى الإسلامية الوحيدة والمخيفة آنذاك،الدولة العثمانية.

وكان لهجمات القراصنة المدعومين من الدولة العثمانية وممثليها وكذا دويلات شمال إفريقيا أن زادت من حدة السياسات العدائية ضد كل من بقي على أرضه من شعب مملكة غرناطة، وطالت السياسات التعسفية حتى (المدجنين)، وهم أولئك المسلمون الذين قبلوا الاستمرار في العيش تحت سلطان دول وممالك إسبانيا الكاثوليكية مشمولين بنصوص اتفاقات عقدت قبل سقوط غرناطة بسنين.وقد ضمنت لهم هذه الاتفاقات البقاء على دينهم وعاداتهم إلى أن سقطت غرناطة وأصبحوا محل اتهام وضغط لتغيير ديانتهم هم الآخرون.

أما الموريسكوس الذين أتاحت لهم الظروف المحافظة على جزء من ذاكرتهم الجمعية واستطاعوا توارث أجزاء من شخصيتهم فقد كانوا يعتبرون المنفيين أبطالا للحرية، مدافعين عن الحقوق، بل وصلوا في نظر بعضهم إلى مرحلة الصلاح بل والقداسة.

وقد تمتع المنفيون بثقة وإحترام الموريسكوس في الأرياف لدرجة أن الجماهير كانت تستغيث بهم ملء فراغ غياب العدالة القشتالية. ويفهم من وثائق تلك الفترة أن السلطات كانت قد بدأت في نهاية العشرية الأولى من القرن الجديد بعد سقوط غرناطة عمليات حصر وتعداد لكل الفئات التي كانت تساعد المنفيين خاصة منهم الرعاة الذين كانوا مشهورين بعلاقاتهم الجيدة معهم.

ونعرف من الوثائق المحفوظة عن تلك الفترة أن (ظاهرة) المنفيين ولدت في السنين الأولى للاحتلال القشتالي للعاصمة الغرناطية واستمرت طيلة القرن السادس عشر وبلغت اعلى درجات قوتها قبل وبعد انتفاضة عام 1568. ويمكن التفريق بين مرحلتين من المقاومة الموريسكية أولاها تلك الفترة الممتدة من سقوط غرناطة إلى انتفاضة عام 1568، وكانت جماعات المنفيين خلالها تتمتع بدعم وتأييد أغلبية كبيرة من السكان و يقودها رجالات لها وزن واحترام، والفترة الثانية هي تلك الممتدة من عام 1570 حتي نهاية الوجود الموريسكي، وقد مثلت هذه المرحلة بداية التصفية الجسدية المكشوفة للموريسكوس، وقد كانت المقاومة خلالها قد فقدت الكثير من أهدافها السياسية، وتم عزلها وتأليب محيطها ضدها.

ولا يمكن فهم ظاهرة المنفيين إلا في إطار الأجواء الناجمة عن استحالة تعايش الغالب (القشتال: ملوكا وحكومة وكنيسة ومستوطنين) مع المغلوب (الموريسكوس) خصوصا إذا كان هم الغالب وسياساته تهدف إلى القضاء على المغلوب أو امتصاصه بالقوة ومنع لغته وتحريم عاداته.

فعمليات الدمج القسري وما كان يرافقها من تجاوزات من السلطات الملكية و ممثلي الكنيسة اجبرت قطاعات من السكان الموريسكوس الرافضين على مغادرة قراهم فرارا من القهر والمراقبة واللجوء إلى مناطق منعزلة.

وفي أعالي (لا البوخارا) أو في جبال (روندا) الوعرة حاولوا ممارسة حياتهم على طريقتهم كما مارسوا ديانة الآباء والأجداد.

وفي تلك الأماكن الموحشة المقفرة، دون موارد أو أمل في العودة إلى بيوتهم، استعاشوا بنهب أملاك المستوطنين الجدد وبمهاجمة الطرق.

وكما ذكرنا، كان المنفيون محترمين في أوساط الفلاحين، إلا أنهم لم يحظوا بنفس القدر من التأثير في مدينة غرناطة وضواحيها، خاصة وأن العائلات الموريسكية التي كانت قد تحولت عن دينها مع سقوط المدينة كانت تراهم كجماعة متطرفة قد تشكل خطرا على رخائها ومكاسبها.

وللتخفيف من هذه المخاوف وبهدف رفع معنويات المترددين من أهل المدينة وإقناعهم بضرورة المشاركة في انتفاضة أعياد ميلاد عام 1568 الشهيرة تعمد القادة الميدانيين المبعوثين من طرف قائد الانتفاضة الذي تسميه المصادر الإسبانية المتأخرة (فاراي بن فاراي) (ويعتقد أنه فرج بن فرج وذلك لخلو الإسبانية من حرف الجيم) الدخول إلى المدينة بصحبة الآلاف من الأنصار ـ على ما تذكره المصادر الإسبانية ـ بلباس تركي لنشر الانطباع أن الأتراك سيشاركون في الانتفاضة عن طريق إنزال بحري أو أنها تحوز على دعمهم على الأقل .

وتذكر مصادر أخرى أن (فرج بن فرج) نفسه يصحبه مئة وخمسون منفيا دخل ليلة الخامس والعشرين إلى السادس والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) من ذلك العام إلى (البايسين) لنفس الهدف ولكنه فشل إذ لم يشارك أهل غرناطة في هذا التمرد بعكس أهل البوخارا.

وعلى كل حال يعتقد أكثر من باحث ومؤرخ لتلك الحقبة أن هناك وثائق تثبت أنه كانت هناك اتصالات ومراسلات قد ترقى إلى مستوى التنسيق بين الموريسكوس الرافضين والمتمردين وأبناء دينهم من عثمانيين وشمال إفريقيين. ويلفت النظر في هذا الإطار الرسالة المفصلة التي بعثها المنفيون عن طريق شمال إفريقيا إلى الآستانة وفيها طرف من المعاناة التي كان يمر بها أهل الأندلس ولو أن قارئها المعاصر وقارىء الرد عليها لا يستطيع الهرب من المقارنة بينهم وبين ما يحصل للمحاصرين في غزة أو جنين مثلا وردود القمم العربية وجامعتهم وكأن شيئا لم يتغير منذ خمسة قرون. والرد على تلك الرسالة جاء باسم السلطان العثماني سليم الثاني ويحمل تاريخ الرابع والعشرين من شوال لعام 977 للهجرة الموافق للعشرين من كانون الثاني (يناير) لعام 1569، وأهم ما فيه ما يذكره السلطان من أن البحرية العثمانية تستعد لحملة على قبرص بعد أن خرق أهلها اتفاقا مع الدولة العثمانية مما يعني أنها غير قادرة على التدخل لمساعدتهم وأن حاكم الجزائر سيتولى الامر باسم السلطان ونيابة عنه.

وتذكر نفس المصادر أن «المنفيون» قاموا في بعض الأحيان بعملياتهم العسكرية بالاتفاق والتنسيق مع القراصنة الأتراك والبربر كما تسميهم، وانه كانت تتم لقاءات بين الطرفين في الليل في مناطق منعزلة ونائية من الساحل الإسباني، وأنهم كانوا يستلمون مساعدات من بينها أسلحة والقمح والأرز عن طريق البحر. وقد استفادوا من علاقتهم بالقراصنة للهرب إلى شمال إفريقيا عندما كانت تشتد عليهم الملاحقة، ولم يكن نادرا أن يعودوا لمهاجمة بعض نقاط الساحل الذي كانوا على معرفة جيدة به، وهكذا نشأت هذه الجماعات من المنفيين المتحالفين مع القراصنة والمستفيدين معا من مهاجمة السواحل الأندلسية.

والثابت ان انتفاضة عام 1568 قد فشلت وأن رد قوات ملك إسبانيا آنذاك (خوان النمساوي) التي وصلت في الثالث من كانون الثاني (يناير) من عام 1569 كان وحشيا وتمثل في إخضاع كل مدن وقرى البوخارا وروندا المتعاطفة مع المنفيين بقوة السلاح وطرد سكانها من الأندلس ونفيهم وتفريقهم في قشتالة.

ومع هذا لم ينته وجود المنفيين فبعضهم كان قد 11ختبأ في الجبال والبعض الآخر رجع إلى ديارة بعد الحرب بشهور ليغادروها مجددا مع عوائلهم لاجئين جميعهم إلى أماكن جبلية بعيدة، محصنة ومنعزلة أقاموا فيها تحصينات لحماية أنفسهم وعوائلهم مستغلين طبيعة الأرض التي عادة ما كانت صخرية في أعالي الجبال فيها كهوف يصعب الوصول إليها بسهولة، كما كانت لديهم وسائل إنذار، بالدخان نهارا وبالنار ليلا، وقد مارسوا ما يسمى اليوم بتكتيكات حرب العصابات، وهي تكتيكات كانت معروفة وتم ممارستها في ما يعرف بحرب الحدود بين الممالك المسيحية والإسلامية، وهي التراث الذي ارتكزت عليه حرب العصابات الحديثة.

وقد اشتهر من الأماكن التي لجأ إليها المنفيون (صخرة غواخاريس ـ Guajares) القريبة من بلد بنفس الإسم، حيث تذكر المصادر الإسبانية انها كانت المكان الذي لجأ إليه موظف بلدية موريسكي مع أكثر من ألف من المتمردين، وقد وصل إلينا وصف دقيق لهذا المكان عن طريق الكاتب الإسباني (هورتادو دي ميندوزا)، أما في جبال روندا فقد اشتهر حصن (أربوتو) و (لا ساوسيدا).

وكما هو متوقع من مثل مجموعات كهذه في مثل تلك الظروف فقد كان يخرج المنفيون من تلك الأماكن للقيام بهجمات ضد القرى والمدن والخانات والطرق ومن ثم العودة إليها دون ترك آثار لهم.

وقد كان القساوسة وجامعو الضرائب وموظفو العدلية والتجار من بين أهدافهم المفضلة. وقد كرهوا الكهنة أكثر من غيرهم واعتبروهم المسبب لحالة الابتزاز الدائم التي كانوا يعانون منها فضلا عن إصرارهم على تحويلهم عن دينهم.

وقد وصلت لنا اسماء أهم قادة المنفيين في منطقة البوخارا وجبال روندا في الفترة ما بين عام 1570 و1600 ومنهم انطونيو ذو اليد المقطوعة والذي كان يتحرك في منطقة خوبريكه عام 1572، ومنهم كذلك خوليان أتايفور و ميغيل خوكار (الحاج) و ماركوس الأزرق وهؤلاء سلموا أنفسهم واسلحتهم في روندا ودخلوا في العفو الذي أعلنه الملك ضمن مجموعة بلغ عددها ستة وثلاثين منفيا، ورفض التسليم آخرون منهم (إلميشتي). وتذكر المصادر قصة المنفي خوان أتاوخار الذي وضعت السلطات ثمنا لرأسه، وكان قد وقع جريحا عام 1577 فانتحر لئلا يؤخذ حيا. وقد استمرت ظاهرة المنفيين حتى عام الطرد النهائي للموريسكوس من إسبانيا عام 1609 ولو أنها كانت قد تحولت إلى حركة أشبه بقطاع الطرق كما تقول المصادر الإسبانية.

* كاتب فلسطيني يقيم في اسبانيا

جبهة الخلاص الوطني السورية أنموذج من مغالطات : (رؤية من الداخل)

عبد الحميد حاج خضر لم يكن يرى داخل المؤتمر إلا ذاته ولم ينقل بأمانة ما جرى في أروقة المؤتمر

لم يكن الوحيد الذي اعترض على حذف الآية.. وانقلب على الجبهة بعد فشله بالحصول على مركز فيها

د. محمد بسام يوسف*

■ اطلعتُ على الحلقة الأخيرة لرؤية السيد (عبد الحميد حاج خضر) من داخل جبهة الخلاص الوطني السورية المعارضة، وهي بطبيعة الحال ليست رؤية من داخل الجبهة كما يصوّرها كاتب الحلقات، لأن الجبهة باتت تضم مؤسسات وهيكليةً تنظيميةً داخليةً يعرفها جيداً السيد حاج خضر، الذي اقتصر دوره كما رغب بنفسه، على حضور جلسات المؤتمر العام للجبهة.

نقطتان لافتتان تحدّث عنهما السيد حاج خضر، وجدتُ أنه من الواجب أن أوضّح بعض اللّبس فيهما، بصفتي أحد أعضاء الهيئة التأسيسية للجبهة، الذين حضروا مؤتمرها التأسيسي في لندن وشاركوا بكل جلساته، ولعل توضيحي لهاتين النقطتَيْن يُلقي ضوءاً فاقعاً على طريقة عَرض السيد حاج خضر رؤيتَه، التي لم تخلُ من المغالطات والتفسيرات الشخصية، التي كنتُ أتمنى ألا يقع بها الأستاذ الكريم:

النقطة الأولى:

تتعلق بورقتَيْ هيكلية الجبهة، وكانت إحدى الورقتَيْن هي ورقة السيد حاج خضر، أما الورقة الأصلية، فقد قدّمتها اللجنة التحضيرية للمؤتمر.. وكان لي شرف المشاركة في إعداد تلك الورقة الأصلية قبل أن تعتمدها اللجنة التحضيرية، ومن المعروف أنّ كل المؤتمرات لها لجان تحضيرية تقدّم أوراقها التي ستُبحَث خلالها، وقد راعت اللجنة التحضيرية أن تكون ورقتها معبِّرةً عن هيكلية عامة تضبط عموم مؤسّسات الجبهة المقترحَ تشكيلُها، وهذا أمر طبيعي وواقعي، ثم تترك للمؤسّسات المشكَّلة وضع تفصيلات أنظمتها الداخلية.. أما ورقة السيد حاج خضر فهي ورقة تفصيلية متشعبة، تقترح نظاماً داخلياً تفصيلياً لكل مؤسسة من مؤسّسات الجبهة التي لم تتشكّل بعد في ذلك الوقت.. ونظراً لأن المؤتمر كان تشاورياً وتوافقياً.. وديمقراطياً أيضاً، فقد استمع إلى رؤية السيد حاج خضر في هذا المجال، ونظر في ورقته، ثم قرّر أن يؤخَذ بها ويُستفَادَ منها في الأمانة العامة للجبهة التي ستتشكّل.. وهذا كما قلت، هو القرار الطبيعي السديد، فالمؤتمر العام ليس من واجباته، ولا وقت لديه، لدراسة أو وضع تفصيلاتٍ دقيقةٍ لمؤسّسةٍ لم تتشكّل بعد.

هذه النقطة الأولى التي يتحدث عنها السيد حاج خضر بإسهاب، ليسجّل نقاطاً شخصية، كونّت لدي انطباعاً، سيتكامل مع توضيح النقطة الثانية التالية.

النقطة الثانية :

تتعلّق بحذف الآية الكريمة، ثم إعادتها إلى البيان الختامي للمؤتمر.. وفيها يصوّر السيد حاج خضر نفسه وكأنه بطل إعادتها.. حين يقول:

(.. ولكن بعد توزيع البيان بصيغته النهائية، وزّعتُ نسختان..) ثم يتابع: (الأولى بدون الآية، وأعتقد أنها طُبِعَت ((قبل الاحتجاج الصارخ مني، الذي ساندَته أعداد قليلة من الإخوة الحضور))، والنسخة الثانية التي تتضمن شطر الآية: «وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ..»..

أسجّل هنا أنني كنتُ قد سبقتُ السيد حاج خضر إلى الحديث عن حذف الآية والاحتجاج على ذلك الحذف، ولم يكن دوري أو دور الإخوة المحتجّين مساندا له كما يقول، بل كان دوره مسانداً لأدوار الإخوة الذين سبقوه في ذلك، وقد سبقني عضو واحد إلى الاحتجاج، هو الأستاذ : زهير سالم، الذي تكلّم كلاماً قاطعاً محاججاً للسادة الذين اقترحوا حذف الآية الكريمة.. ثم تبعته بالحديث، ومما قلتُه حرفياً في مداخلتي ما يلي:

(.. هناك مَن يختتمون بياناتهم بعبارات يستحبّونها، من مثل : الخلود لرسالتنا.. أو: وليخسأ الخاسئون.. أو: وحدة حرية اشتراكية.. أما نحن فنقول: (وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).. ونعتقد أننا في هذا نعكس هوية شعبنا السوري ودينه وعقيدته وإرثه الحضاري والقيَمي، فلذلك أطالب بإعادة الآية الكريمة، وإن كانتْ قد حُذِفَتْ من الكومبيوتر، فإنني أتبرّع بإعادة صفّها وإضافتها إلى البيان). ثم تحدّث بعدي إخوة كرام، وطالبوا بإعادة الآية الكريمة.. وبعد أن تحدّثوا.. تحدّث السيد حاج خضر مسانداً.. ثم أعيدَت الآية بعد حوار أخوي ديمقراطيّ تسوده الأخوّة والمحبة والحرص، من قِبَل كل أعضاء المؤتمر وأطراف الجبهة!..

نقطتان وجدتُ أنه من المهم التعليق عليهما، ولن أتطرّق لكل الحلقات الطويلة التي نشرها السيد حاج خضر في جريدة (القدس العربي).. لكنني أردت أن أظهر عينةً من عينات رؤية الكاتب الكريم لجبهة الخلاص الوطني، لأبيّن أن انسحابه منها لم يكن مطلقاً لأي سبب من الأسباب التي ذكرها في حلقاته، ولعل النقطة الثانية التي ذكرناها آنفاً، توضّح بجلاء، أنّ الأستاذ عبد الحميد حاج خضر، لم يكن يرى إلا نفسه داخل أروقة المؤتمر، لدرجة أن ينسب إليها مضخّمات للذات، لا تنقل حقائق ما جرى بأمانة، بسبب رؤية شخصية لا ترى إلا ذاتها، ولا تدور إلا في فلك نفسها، مما لم يَطْفُ على السطح، إلا حين الإعلان عن تشكيلات الجبهة، عندما لم يصبح السيد حاج خضر أحد أعضاء مؤسّستها العليا، على الرغم من تمثيله لحركة معارضة (وهمية)!..

سنترك لحركة (العدالة والبناء) الوليدة، التعليق على قول السيد حاج خضر : (في مرحلة التحضير للمؤتمر التأسيسي، تلمّس بعض الأخوة في (حركة العدالة والبناء)، إمكانية الانضمام لجبهة الخلاص الوطني، وسعَوا إلى ذلك، هكذا بدا لي آنذاك، فسارعتُ للتوسط، ورأيتُ أنّ من حقهم الانضمام إلى الجبهة، ولكن جهودي لم تُكلَّل بالنجاح)!.. فهل هذا هو السبب الحقيقي لمهاجمة الحركة المذكورة جبهةَ الخلاص الوطني، بالحماسة التي شهدناها مؤخراً؟!.. كما هاجمها المرفوضان شعبياً ووطنياً : حليفُ أميركة، وعم الرئيس، بعد ردّ طلبَيْهما بالحاح.. لقبولهما في الجبهة ؟!..

نقطتان فحسب، نوردهما مثالاً لتوضيح المشكلة، مشكلة السيد حاج خضر وليس مشكلة جبهة الخلاص الوطني، تلك المشكلة التي أشرنا إليها آنفاً، ونعيد إيجازها في بضع كلمات : (ما كان الأستاذ عبد الحميد حاج خضر يرى داخل المؤتمر.. إلا ذاته)!..

* عضو الهيئة التأسيسية لجبهة الخلاص الوطني/ لندن